Adab Al-Rafidayn

https://radab.uomosul.edu.iq/

The Textile Dyes of the Christians of Najran: From the 5th Century AD to the Emergence of Islam

Mamoon Ibrahim Alkhateeb
Department of History / Faculty of Arts and Humanities / Idlib University / Idlib - Syria

Abd-Allah Hafd Al-Haj Abd-Allah
Department of History / Faculty of Arts and Humanities / Idlib University / Idlib - Syria

Article Information

Article History:
Received June 18th , 2025
Revised July 16th .2025
Accepted July 20th , 2025
Available Online Sept.1st ,2026

Keywords:
Dyes
Najran
Textiles
Craft
Industry

Correspondence:
Mamoon Ibrahim Alkhateeb -
mamoun_alkhatib@idlib.edu.sy

Abstract

This study examines the dyes in Najran and their significant role in meeting the tastes of people, not only within Najran but also in far-reaching regions. Dyed textiles from Najran reached areas such as the Levant, Iraq, and Egypt, among others. They utilized raw materials of diverse origins (including plant-based, mineral, and stone materials), which provided them with suitable colours that appealed to both general and specific tastes in all the regions their extensive trade network reached.

Moreover, the use of dye fixatives played a crucial role in achieving specific colours. This expertise that the people of Najran possessed in the field of dyes and their ability to obtain the appropriate colours was applied to their textile industries, which enhanced the brilliance of these industries. Their textile production expanded significantly, benefiting from the skill of their dye artisans. As a result, their reputation spread far and wide, preceding their products, and they achieved considerable profits from their dyes

DOI: 10.33899/radab.v56i106.64965, ©Authors, 2023, College of Arts, University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

الأصبغة النسيجية عند نصارى نجران من القرن الخامس الميلادي الى ظهور الإسلام

مأمون إبراهيم الخطيب * عبد الله حافظ الحاج عبد الله **

المستخلص:

يتضمن البحث دراسة الأصبغة في نجران ودورها المهم في مواكبة أذواق الناس، ليس فقط في نجران وإنما في مناطق بعيدة عنها، حيث وصلت أنسجتهم المصبوغة إلى بلاد الشام والعراق ومصر ... إلخ. مستخدمين مواد أولية متعددة الأصول (كالمواد النباتية – والمعدنية – والحجرية) والتي أمدتهم بألوان مناسبة وافقت الذوق العام والخاص، في كل المناطق التي وصلت إليها تجارتهم الواسعة.

كما كان لمثبتات ألوان الصباغة دور هام في الحصول على ألوان معينة، كل هذه البراعة التي امتلكها النجرانيون في مجال الأصبغة والحصول على الألوان المناسبة وظفوها في صناعاتهم النسيجية وبالتالي زاد ألق تلك الصناعات بتلك الأصبغة. وتعددت صناعتهم النسيجية بشكل كبير مستفيدين من مهارة صانعي تلك الأصبغة، فقد طارت شهرتهم وسبق صيتهم عملهم، وحققوا أرباحاً كبيرة من تلك الأصبغة.

* قسم التاريخ القديم / كلية الاداب والعلوم الإنسانية / جامعة ادلب/ ادلب - سوريا.
** قسم التاريخ الاسلامي / كلية الاداب والعلوم الإنسانية / جامعة ادلب/ ادلب - سوريا..

كلمات مفتاحية: أصبغة ، نجران ، نسيج ، حرف ، صناعة.

مقدمة:

تعد الصباغة من أقدم الحرف وأهمها في الجزيرة العربية بشكل عام ونجران بشكل خاص وذلك لما لها من أهمية كبيرة في تلوين المنسوجات والثياب وإعطائها ألواناً متعددة فقد دلت الدراسات الأثرية على معرفة أهل نجران بالأصباغ المختلفة، ان ورد ذكر بعض الألوان في النقوش الحميرية فجاءت كلمة (حمرت) بمعنى أحمر كما استخدموا الأصباغ في تزيين جدران قصورهم كما زينوا عيون وحواجب تماثيلهم بألوان متعددة كالأسود والأحمر... إلخ.

لتلائم أذواق الناس المختلفة وتحاكي مناسباتهم الاجتماعية (كالفرح والحزن ... إلخ) كما تعددت مصادر الحصول على تلك الأصبغة, فمن هنا فإن البحث سيحاول إلقاء الضوء على هذه الصناعة مستنداً إلى مصادر ومراجع بحثية تُذكر في حينه بما يخدم هذا الموضوع, حيث لا يخفى على أي قارئ لتاريخ الجزيرة العربية القديم أهمية موقع نجران على طرق القوافل التجارية والتي كان لها دور كبير في الحصول على بعض الأصبغة التي لم تكن موجودة لديها فقد تم استخلاصها بعدة طرق (كالنقع أو التسخين).

المواد الأولية المستخدمة في صناعة الأصبغة

استخدمت لصباغ المنسوجات مواد أولية متعددة من مصادر مختلفة فكان منها:

النباتي: (كنبات الفوة والكركم والعفص... إلخ) والذي يعد الأكثر استخداماً لتوفره في الطبيعة وسهولة الحصول عليه.

المعدني: كالأصبغة التي تستخرج من الصخور والمعادن (كالشب والزاج)[1] وقد كانت هذه الأصبغة أقل بكثير من الأصبغة النباتية لما يحتاجه استخراجها إلى مهارة وحدق وتقدم في الصناعة والعلم[2]. وهذه المواد عبارة عن كبريتات المعادن المختلفة والتي كانت تعد مصدراً لعدة ألوان كالأخضر والأبيض والأزرق والأحمر.

الحجري: كالأصبغة المستخرجة من (الشت والملح)[3] والذي كان يعد مصدراً للون الأبيض

أولا: أسماء النباتات المستخدمة في صباغة المنسوجات:

الورس: وهو نبات يزرع زرعاً وليس ببري ونباته مثل السمسم وينتشر بمناطق كثيرة في الجزيرة العربية ومنها نجران، وأجود أنواعه الورس البادرة – وهو الحديث النبات – ومنه نوع آخر يقال له الحبشي لسواد فيه وتخرج منه صبغة صفراء، أما البادرة ففي صبغها حمرة[4] ويقال أصفر وارس أي شديد الصفرة[5]

العصفر: وهو نبت أصفر يستخرج منه صباغ أصفر اللون تصبغ به الثياب والأقمشة وأمثالها[6] وقد استمر هذا اللون حتى الفترة الإسلامية، وكان يزرع في الجزيرة العربية وأحياناً يتم استيراده من مصر[7].

الزعفران: وهو نبات شبيه الكمون ولا ينمو بأرض العرب وله استخدامات عديدة في الأصبغة حيث يستخرج منه اللون الأصفر وقد صبغت به الملابس في الجاهلية إلا أن الإسلام نهى عن لبس المحرم للثياب التي يمسها الزعفران[8]، ويقال للثوب إذا صبغ بالزعفران مُجْسَدَ[9].

الكركم: وهو نبات شبيه الكمون له استخدامات في الأدوية إضافةً إلى استخدامه في استخراج الصباغ الأصفر وقد شبه نباته بالزعفران (للتشابه في لون الصباغ)، وكان يستورد من الهند[10]

العفص: وهو شجر يحمل ثمار حيث يستفاد من ثماره في صباغة المنسوجات، ويقال أنه شجر البلوط، وهو ليس من نبات أرض العرب، وقالوا ثوب معفص، أي ثوب مصبوغ بالعفص[11] .

القرف: وأصل القرف: القشر ويعني كذلك شدة الحمرة ويقال صبغ ثوبه بقرف السدر أي بقشره كما كان يصبغ بقرف الأرطي (وهو مادة أو قشور تُستخرج من جذور تلك الشجرة لتُستخدم في صباغة الأقمشة)، والسدر والأرطي يستخدمان في الصباغ الأحمر[12].

1- الأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهر, ت370هـ: الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي, تحقيق محمد جبرالألفي, وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية, الكويت ط1 , 1399م، ج1 , ص59.

2- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام, دار العلم للملايين, بيروت ط1 ,1971 م، ج7 , ص531

3 -ابن سيدة، أبي الحسن بن علي بن إسماعيل ت458هـ، المخصص تحقيق خليل إبراهيم جفال, دار إحياء التراث العربي, بيروت ط1 , 1976 1979م, ج3

4 الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود، ت 282هـ/896م، كتاب النبات، تحقيق برنهارد ليفين، دار شتاينربفيسباون، 1974م، ج3، ص166+167.

5 إبراهيم مصطفى وآخرون، معجم الوسيط، دار الدعوة، تحقيق مجمع اللغة العربية، د. ط، د. ت، ج2، ص1025.

6 جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج7، ص617.

7 اليعقوبي، البلدان، وضع حواشيه محمد أمين ضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ/ 2002م، ج1 ص50.

8 العسقلاني، ابن حجر العسقلاني ت 852هـ، الدراية في تخريج أحاديث الهداية، تحقيق عبد الله المدني، دار المعرفة، بيروت،1406هـ، ج2، ص11.

9 الدينوري، المصدر السابق ج3، 173.

10 ابن البيطار، ضياء الدين بن عبد الله ت 646 هـ، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001 م، ج4، ص325.

11 ابن منظور، محمد بن مكرم ت 711 هـ، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، د. ت، ج7، ص54 + 55.11

12 الأزهري، الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، ج9، ص94 -96.

الفوة: وهي عروق تستخرج من الأرض تصبغ بها الثياب وإذا صبغ بها الثوب يقال ثوب مفوى[1] ، ولا تنبت بأرض العرب وللفوة ثمرة مدورة حمراء وكأنها خرزة عقيق لها ماء أحمر يكتب به[2] وقد استخدمه نصارى نجران في صباغة منسوجاتهم.

عندم: وهو نباتٌ لا ينبت بأرض العرب وهو خشب يطبخ[3] وكانت تصبغ به الثياب النجرانية باللون الأحمر[4] .

الدرماء: وهي نباتات طويلة القصب، يخضب بورقها الصبيان، كما استخدمت في صباغة المنسوجات باللون الأحمر[5].

النكع: وهو نبات شوكي وله أزهار حمراء، ويقال رجل نكعة إذا كان أحمر أشقر، وكان يستخرج منه الصباغ الأحمر[6] في صناعة المنسوجات النجرانية.

النيلة: وهي من النباتات المعمرة، ويستخرج منها مادة زرقاء وتنمو في المرتفعات ما بين 2000 – 5000 قدم، وقد استخدمها النجرانيون في صباغة منسوجاتهم[7]، كما كان لها دوراً بإدخالها كلون وسيط للحصول على لون آخر.

هرد: وهو عبارة عن عروق صفراء يصبغ بها، ويقال للثوب المصبوغ بالهرد مُهرَدْ أو مهرود أي مصبوغ بالأصفر[8]، وقد استخدمه نصارى نجران في صباغة منسوجاتهم.

13- الأيدع: ويستخرج من خشب البقم، حيث يخرج منه صباغ أحمر، كما كان يصبغ بحبه، وقد استخدمه أهل البادية[9] .

هذه أهم النباتات التي استخدمها نصارى نجران في صباغة الألبسة ، وقد ذاع صيتهم وطارت شهرتهم لمناطق واسعة في الجزيرة العربية والشام والهند ، إذ وصلت تلك الشهرة إلى كل المناطق التي تاجروا معها ، وقد جلبوا العديد من الأصباغ التي لم تكن موجودة لديهم كالكركم من الهند ، والعصفر والكتان من مصر[10] ، والزعفران من فارس[11] ، كما استفادوا من النباتات والمواد الأولية التي كانت تلزمهم لهذا الغرض من مناطقهم المحلية ، إذ تجلت تلك الأصبغة وزينت منسوجاتهم التي تجلت بأبهى صورها في البرود والحلل النجرانية (المتعددة الألوان) ، والتي حرص على اقتنائها علية القوم وأكابرهم وكانت أثمانها مرتفعة جداً ، كما تمايزت ألوان الأقمشة فظهر منها (الأحمر والأزرق والأصفر والأسود ...الخ) ، وقد صالح سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) نصارى نجران على (ألفي حلة نجرانية في كل سنة[12]) ولعل اللون الأشهر كان اللون الأحمر ، وقد ورد عن البراء بن عازب قوله : ما رأيت أحداً أجمل في حلة حمراء من رسول الله (صلى الله عليه وسلم[13]) .

وقد نهى الإسلام عن لبس المعصفرات للنساء في الإحرام فقط [14] .

كما اشتهر لبس اللون الأسود والمسوح بالنسبة لرجال الدين النصارى، وقد وردت في ذلك أشعاراً كثيرة

كما أن رجال الدين النصارى لا يلبسون المصبغ، ولعلهم كانوا يفعلون ذلك بسبب اعتقادهم أن تابع الكاهن ينفر من الصبغ [15] .

ثانياً: تهيئة النسيج للصباغة:

إن تنوع الملابس النجرانية وتعدد أوصافها وأشكالها يدل دلالةً واضحة على أن نصارى نجران كانوا ماهرين في استخراج الأصبغة لتلوين أنسجتهم مع معرفتهم الواسعة بما يتطلبه الناس في أصقاع بعيدة عنهم وملامسة أذواقهم العامة، إذ أن صناعتهم النسيجية وصلت إلى مناطق بعيدة (كالهند وفارس ومصر والعراق وبلاد الشام ...الخ).

1 الفراهيدي، الخليل بن أحمد، ت185ه/801 م، العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د. ط، د. ت، ج8، ص 409.
2 الدينوري، المصدر السابق، ج3، ص 174.
3 الدينوري، المصدر السابق، ج3، ص175.
4 الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر ت 358 هـ، الكشاف، دار الفكر، بيروت، 1979م، ج1، ص437.
5 ابن سيدة، المخصص، ج3، ص 240.
6 البكري، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد ت 496 ه، اللآلي في شرح أمالي القالي، تحقيق عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 1997م، ج1، ص146؛ جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج7، ص531.
7 نورة عبد الله العلي النعيم، الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد حتى القرن الثالث الميلادي، دار الشواف، السعودية، ط1، 1992، ص188؛ إبراهيم بن ناصر البريهي، الحرف والصناعات غي ضوء نقوش المسند الجنوبي، وكالة الآثار والمتاحف، السعودية، ط1 2000م، ص262.
8 محمد عوض منصور با عليان: الملابس في اليمن القديم، رسالة ماجستير بإشراف: أحمد بن أحمد باطايع، جامعة عدن، اليمن 2007، ص26.
9 نورة النعيم: المرجع السابق، ص 188.
10 ابن البيطار، الجامع لمفردات الادوية والأغذية، ج4، ص325.
11 الدينوري، كتاب النبات، ج3، ص 172.
12 الشيباني، محمد بن الحسن ت 198 هـ، السير الكبير، تحقيق صلاح الدين المنجد، معهد المخطوطات، القاهرة، د- ت، ج5، 3181.
13 الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد ت 207 هـ، المغازي، تحقيق أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيوت، ط1 2004م، ج1، ص385.
14 الشنقيطي، محمد الأمين بن المختار ت 1393 هـ، أضواء البيان، تحقيق مكتبة البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، 1995م، ج5، ص 63.
15 جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج7، ص 617.

فقد قاموا أحياناً بعصب النسيج برباط في موضع أو مواضع منه ليمنع تسرب أجزاء من النسيج للصباغ أو ترك مساحات لصبغها بألوانٍ مغايرة وفقاً لذوقٍ جماليٍ رفيع، يأخذ أشكالاً هندسية أو صوراً متقنة كصور (المراجل والأسهم والطبول ...الخ) أو أشكالاً هندسية مختلفة[1] .

ويتم ذلك بتهيئة النسيج للصباغة إذا كان يقوم الحرفيون بعملية المادة الخام (سواء كان حريراً أو صوفاً أو كتاناً)، وتعرف هذه العملية بالقصارة، وذلك لأن القصار يدقها بالقصرة أي قطعة الخشب[2] ، ويتم وضع المواد الخام في الماء، فإذا بدأ الماء بالغليان توضع المنظفات ويبقى القصار يحرك تلك المواد لفترة معينة ثم يخرجها من الماء ويصب عليها ماءً نظيفاً ويغسلها ويعرضها بعد ذلك لأشعة الشمس ليضمن جفافها بشكل كلي، وتصبح بعدها جاهزة للصباغة[3] .

كما أنه وجد عند نصارى نجران لون أطلق عليه (مقتوم) وهو ثوب مصبوغ بلون أسود ولكنه ليس شديد السواد.

إضافةً إلى ألوان أخرى كثيرة تمت الاستفادة منها بالأصبغة، إذ كانوا يصبغون الأقمشة قبل تفصيلها وخياطتها، وأحياناً كانوا يصبغون الملابس والثياب بعد الخياطة[4] .

كما تم استخدام الوشي: وهو القماش الملون بكل لون والوشي هو خلط لون بلون آخر وتزيين النسيج الأصلي بخيوط ملونة، وأحياناً استخدمت خيوط الحرير أو الذهب أو الفضة[5] .

ويعتقد الباحث أن نصارى نجران كان لهم إسهام ودور كبير في هذا الفن لتزيين منتجاتهم النسيجية التي برعوا فيها والذي انعكس على حالتهم الاقتصادية غنىً ورخاءً.

ثالثاً : طرائق تحضير ألوان الصباغة : اشتهرت عدة ألوان للأصبغة النسيجية في نجران وكانت المنسوجات (الحرير والقطن والكتان) ويعد هذا اللون من أقدم الألوان وأكثرها استخداماً وقد ورد في نقوش الخط المسند (وهو نظام كتابة استخدم في جزيرة العرب ويمتاز بأشكال بخطوط هندسية كأنما يستند بعضها إلى بعض) بعبارة: ح م ر / ح م ر ت (صفة أحمر وحمراء) (نقش RES3945/15) وقد اشتهر هذ اللون (والذي يعد أقدم لون صباغ استخدم في نجران) حيث كان له استخدامات كثيرة في صباغة المنسوجات المختلفة وخاصة في تلوين الرسوم التشكيلية وهو يحضر عادةً من المغرة الحمراء وهي عبارة عن خام الحديد الأحمر المسمى (هيماتيت) ولا توجد معلومات دقيقة عن كيفية استخلاصه وربما كان يتم طحنه طحناً ناعماً جداً – أو بالترويق المائي (وهي كما فهما الباحث عملية تنقية الأصباغ أو المحاليل الملونة من الشوائب، وذلك بتركها ريثما يترسب ما فيها من شوائب قبل أخذ الصبغة النقية الطافية) للحصول على أدق الحبيبات (أي الصباغ)[6] ثم تضاف إليه مادة لاصقة كالصمغ أو زلال البيض [7] ومن المعتقد أن الغراء هو المادة الوسيطة المستخدمة للحصول على ذلك الصباغ الأحمر[8] وقد سميت الثياب بأسماء كثيرة استناداً إلى هذا اللون فيقال : ثوب ممغر أي مصبوغ بالمغرة ، أو ثوب ممشق بمغرة[9] أو ثوب ممكور أي أحمر شبه حمرة الدم – ويعني ثوب ملون بذلك الطين الأحمر ، وقيل عنه كذلك ثوب ممصر[10]

تصبغ وهي خيوط وأحياناً يتم صباغتها بعد الخياطة ولعل أهم ألوان الأصبغة:

اللون الأحمر: وكان يستخرج من عدة مكونات، وذلك بخلطها مع بعضها البعض ولا تتوافر لدى الباحث معلومات دقيقة عن مقدار كل واحدة بالضبط، فقد كان يتم استخراج هذا اللون من عدة مكونات أهمها:
نبات الفوة مع العفص المدقوق إضافةً إلى لحم حيوان أو طير.
منشور الهليلج (جنس نبات يتميز بثمار بيضوية الشكل، ومتعددة الألوان، وقد استخدمه نصارى نجران في صباغة اللون الأسود) مع نبات الفوة إضافة إلى نبات البقم.
الفوة مع عروق الثألب إضافة إلى الشب الأبيض[11] .

1 محمد عبد الرحيم جازم، مجلة الإكليل، مقالة بعنوان: دراسة في تراث المنسوجات والملابس في اليمن، العدد 1، عدن 1992م، ص 122
2 ابن منظور: لسان العرب، ج5، ص104.
3 محمد عبد الرحيم جازم، المرجع السابق، ص 122.
4 جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج7، ص 617.
5 جمال سليمان عامر: الحرف والصناعات اليدوية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، رسالة ماجستير بإشراف: عبد المنعم عبد الحليم سيد، جامعة الزقازيق، الإسكندرية، د-ت، ص224.
6 إبراهيم بن ناصر البريهي، الحرف والصناعات غي ضوء نقوش المسند الجنوبي، وكالة الآثار والمتاحف، السعودية، ط1 2000 م، ص260.
7 محمد عوض منصور با عليان: المرجع السابق، ص24
8 عبد الرحمن الأنصاري، قرية الفاو صورة للحضارة العربية قبل الإسلام في المملكة العربية السعودية، جامعة الرياض 1402 هـ، ص24+25.
9 الحربي، إبراهيم بن اسحاق ت 285 هـ، غريب الحديث تحقيق سليمان إبراهيم محمد العابد، جامعة أم القرى، مكة ط1 1405 هـ، ج3، ص 1064.
1010 ابن سيدة: المخصص، ج3، ص40.
11 المظفر، يوسف بن عمر بن علي بن رسول ت 694 هـ، المخترع في فنون من الصنع، تحقيق محمد عيسى صالحة، مؤسسة الشراع العربي، بيروت، ط1 1989م، ص 163.

المغرة الحمراء الموجودة في جزيرة العرب، كما يرجح أن يكون اللون الأحمر البرتقالي مصدره من الحناء مخلوطاً بلون أحمر مستخرج من زهور القرطم[1] .
الصرف والنكع[2].
اللون الأصفر: ويتم الحصول عليه من استخدام مادة (الشب) من النبات المعروف باسم (حشيشة الصباغين)، وذلك بغليه في الماء، وإذا أراد الصباغ الحصول على لون غامق أضاف إلى حشيشة الصباغين ماء (الكركم) أو ماء ثمار الأثل المغلي.
كما يتم استخراج اللون الأصفر دون استخدام مادة الشب، وذلك باستخدام (الهرد)، كما يمكن الحصول على اللون الليموني بإضافة مقدار صغير من ماء الليمون – على النسيج المصبوغ بالهرد[3] –
اللون الأخضر: يتم الحصول على هذا الصباغ بوضع النسيج في ماء مغلي مخلوط بالهرد (وهو نبات عشبي معمر موطنه الأصلي جنوب غرب الهند، فكان يستخلص منه الصباغ الأصفر البرتقالي أو الذهبي الداكن) زائد ماء الليمون، وتوجد طريقة ثانية للحصول عليه بأن ينقع النسيج بماء الشب ويوضع بعدها في خابية لليلة كاملة[4] – وإذا أراد الصباغ أن يكون اللون فستقياً صبغه بالأصفر وغسله بعدها مباشرة لئلا يغمق لونه[5] .
اللون الأزرق: وكانت صبغته تستورد من الهند، وتعرف باسم الصبغة النيلية وتستخرج من أنواع عديدة من النباتات أهمها: أوراق نبات النيلة البرية، عن طريق التخمير بالنقع في الماء بأحواض خاصة بذلك[6]، فإذا أراد الصباغ أن يكون اللون كحلياً أنزله في خابية صبغ النيلة مرة أو مرتين[7].
اللون البني: للحصول على هذا اللون يرجح العلماء أن الحصول عليه تم من نبات الكاد الهندي والذي استخدمه الهنود لصبغ ملابسهم القطنية وقد تم تصديره إلى الجزيرة العربية [8].
اللون الأسود: يتم الحصول عليه من قطعة (حديد خشن) توضع على النار حتى تحمر ثم تنزع من النار وتلقى على ماء نبات (الحلقة)[9] ثم يؤخذ (زبيب أسود حاتمي) وقليل من ورق (الحناء) ثم ورق (القندس)[10] ويوضع الجميع في (ماء الحلقة) وتترك المواد حتى تسود ثم يدق الكركم ويوضع على بقية المواد، ثم توضع الخرقة المراد صبغها في المادة المعدة وتعرك حتى يدخل اللون بين الخيوط ثم تعصر وتنشر في الشمس فإذا جفت غمست من جديد وعلقت دون أن تعصر (وقد صبغ به الحرير والقطن)[11]
اللون الذهبي: ويتم الحصول عليه من منشور الرمان المغلي في ماء، ثم يضاف إليه (الزاج) ثم توضع فيه قطعة النسيج[12].
اللون البنفسجي: يوضع النسيج في مقدار من (الزاج) ويثب عليه الماء ثم يغمر ويترك ليلة ثم يغسل ثم يؤخذ قليل من (الفوة) ويعجن (بالدم) ويترك حتى الغليان، ويثبت لونه بالزاج[13] .
اللون العودي: وينسب لخشب الصندل أو العود الذي يتميز برائحته الزكية، حيث يوضع النسيج في مادة الشب لليلة كاملة، ثم يؤخذ مقدار من الكركم المدقوق ويصب عليه ماء حار ويغلي على النار ثم يصبغ به النسيج[14] .
هذه الألوان والأصبغة كان يصبغ بها (الحرير والقطن والكتان فقط)[15] أما بالنسبة لصباغة الأصواف فإن المادة الأساسية لها هي (ورق الثألب) التي يوضع عليها بعض (الشب) ويوضع على النار حتى الغليان ثم يجفف في الشمس، وإذا أريد صبغه باللون الأحمر يغلى مع مادة (الفوة) وإذا أريد صبغه باللون الأصفر وضع له الرماد لليلة كاملة[16] ، وهناك طرائق للحصول على ألوان أخرى متعددة لا يجد البحث ضرورة لسردها.

رابعاً: مثبتات الأصباغ:

استخدم الصباغون مواد متعددة لتثبيت ألوان المنسوجات (كالحرير والقطن والكتان) أشهرها مادتا الشب والزاج، إذ يتم وضع النسيج في الماء الممزوج في الشب لمدة ليلة كاملة قبل أن يصبغ باللون المطلوب، كما استخدم الزاج لتثبيت عدة ألوان مثل الذهبي والبنفسجي إلى جانب

1 جمال سليمان عامر: المرجع السابق ص 225.
2 نورة النعيم المرجع السابق: ص188.
3 محمد عبد الرحيم جازم: المرجع السابق، ص 123.
4 محمد عوض منصور با عليان: المرجع السابق، ص 27.
5 المظفر: المصدر السابق، ص 165.
6 جمال سليمان عامر: المرجع السابق، ص 225.
7 المظفر: المرجع السابق، ص 166.
8 جمال سليمان عامر: المرجع السابق، ص225.
9 نبات الحلقة: ذو ورق غليظ مستدير أخضر اللون يتميز بطعمه الحامض. محمد منصور با عليان: المرجع السابق، ص27.
10 محمد جازم: مجلة الإكليل، مقالة بعنوان (دراسة في تراث المنسوجات والملابس في اليمن)، العدد 1، عدن 1999، ص 123.
11 المظفر: المرجع السابق، ص167.
12 محمد منصور با عليان: المرجع السابق ص 27.
1313 المظفر: المرجع السابق، ص 168.
14 محمد جازم: المرجع السابق، ص 124.
15 المظفر: المرجع السابق، ص 167.
16 محمد جازم: المرجع السابق، ص 124.

أوكسيد الحديد[1] ، كما استخدم أيضاً قشور الرمان والهرد الأصفر والنيلة ونبات الحلقة، بينما استخدمت أوراق شجرة الثألب والشب أحياناً لصباغة الصوف، ومن الملاحظ أنه تم استخدام سائلان أساسيان في الصباغة هما:

محلول الصبغة المراد الصباغة بها.

محلول لمادة أخرى تسمى (المثبت) لأنها تعمل على تثبيت الصبغة على الأقمشة، ثم يقوم الصباغ بغسل القماش وعصره بالماء أولاً، ويكون في تلك الحالة القماش باللون الأبيض، ولا يتم إشباع القماش بالصباغات ولكن بالمثبتات التي يقدر مقدارها إذ أنها تمتص اللون بعد ذلك عند وضعها في حوض به الصبغة[2] .

خامساً: الملابس النجرانية التي تم صبغها: هنا يجد البحث ضرورة ملحة للحديث عن الملابس ولو بشكل مختصر، فقد اشتهرت نجران وتفاخرت بعدد من المنسوجات، والذي كان للصباغة دوراً كبيراً فيها لتجميلها وتزيينها لتلامس أذوق العامة في مناطق مختلفة ومتعددة ومن أهم تلك الملابس:

الحبرة: وهي من أنفس الملابس النجرانية وقد أخذت شهرة كبيرة فقد تفاخر الأغنياء والأثرياء والسادات باقتنائها عندما قدم وفد نجران على النبي محمد (ﷺ) (دخلوا المسجد عليهم ثياب الحبرة وأردية مكفوفة بالحرير)[3].

وقد أورد أنس بن مالك قوله: كنت أمشي مع النبي (ﷺ) وعليه برد نجراني غليظ الحاشية[4] .

وأن البني محمد (ﷺ) كان بعض كفنه (برد نجراني[5] وقيل حلة نجرانية [6])، وقد أورد الهمداني[7] عن أهل نجران قوله: (أنهم كانوا بين ناسج برد ودابغ جلد)، وقد تم تزيينها وصباغتها بألوان متعددة وأحياناً توشيتها بخيوط الذهب.

البرود: وهي أكسية يلتحف بها – وقيل البرود كساء مربع – وقيل هو ثوب فيه خطوط وخص بعضه بالوشي، وبالتالي كان للأصبغة دوراً مهماً فيها.

البرنس: وهو ثوب رأسه منه ملتزق به دُراعة[8],كما أشير الى البرنس بالطاقية، ولكن هذه الطاقية لا تنطبق الا على قبعة الراهب، وربما تطورت هذه الدلالة لتصبح –المعطف الضخم الذي له قلنسوة أو طاقية، وقد أصبحت البرانس محط اعجاب الطبقة الدينية عند نصارى نجران اذ تشير الى المكانة الدينية الكبيرة' وقد استخدمت فيها ألوان متعددة[9].

الرداء: وهو المئزرمن الصوف أو الشعر يؤتزر به، وقد ورد في حديث وفد نصارى نجران الذي قدم الى سيدنا محمد(ص)أنهم كانوا يلبسون (أردية مكفوفة بالحرير)[10]

العمامة: وقد عرف لبس العمامة عند نصارى نجران وهي تدل على علو مكانة صاحبها الدينية (والعرب تقول للرجل إذا سُود: قد عمم) وقد وردت إشارات على أن معممين (أي يلبسون العمائم)[11] كانوا يقيمون في كعبة نجران.

الحلة: وهي ثياب نفيسة وهي ثوبين من جنس واحد وقد ذكرت بأسماء متعددة منها:

الخال: برود موشاة وتتصف فيها خطوط حمراء وسوداء[12]

السند: من البرود التي تلبس كقميص، ثم يلبس فوقه قميص أقصر منه[13]

السندس: وهي البرود الموشاة بالذهب وهي من ضمن كمات فارسية التي وردت في القرآن وقد فسرها المفسرون بلباس أهل الجنة الموشى بالذهب[14]

---

1 محمد عوض با عليان: المرجع السابق، ص 27.

2 جمال سليمان عامر: المرجع السابق، ص 226.

3 ابن سعد ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد البصري، ت230هـ/845م): الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، د. ط، د. ت، ج1، ص357.

4 البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، ت 256 ه/869م، صحيح البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغاء، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط2، 1407هـ /1987م م.ج4، ج7، ص 40.

5 ابن سعد: المصدر السابق، ج2، ص284.

6 ابن ماجة، أبو عبد الله القزويني محمد بن يزيد، ت 275هـ/888م، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، د. ط، د. ت، ج1، ص 472.

7 الهمداني، المصدر السابق، ص 285.

8 جواد علي: المفصل، ج7، ص614

9 رينهارت دوزي، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة: أكرم فاضل، الدار العربية الموسوعات، بيروت، ط1 ,2012ص70-75.

10 ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج1,ص357

11 جواد علي: المفصل، ج7ص615

12 ابن سيده: المخصص، ج1، ص386

13 الفراهيدي: كتاب العين، ج7,ص229

14 الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، ت 725ه/1325 م، تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الفكر، بيروت، لبنان د. ط، 1399هـ /1979م، ج، 4ص211

السيراء: ضرب من البرود فيه خطوط صفراء وموشاة بالحرير والذهب الخالص، وقيل ثوب مسير فيه خطوط تصنع من القز، كالسيور أو خطوط من الذهب وهي حلل الأغنياء والوجهاء[1]

المشيح: عباءة مخططة وحجمها مسوح - والمسوح كذلك تعني اللباس الأسود الخاص بنصارى نجران ورهبانهم وخاصة الذين فضلوا حياة الزهد والعزلة[2]

العصب: وهي برود مخططة، يعصب (أي يجمع) غزلها، ثم يصبغ ثم يحاك، فيأتي موشيا لبقاء ما عصب منه أبيض[3]

الأفواف: ضرب من البرود يسمى برد الاقواف وبرد مقوف أي رقيق والاقواف ثياب رقاق موشاة[4]

المراحل: من البرود سمي بهذا الاسم لان عليها تصادير رحل قوافل السير[5]

المسهم: برد مخطط تشبه خطوطه السهام أي فيه وشي وهو مخطط على هيئة نهاية السهام[6]

الجهرمية: وهي ثياب من كتان فاخرة وكانت تصبغ بألوان متعددة[7]

المقطعات: برود عليها وشي مقطع وتكون مختلفة الألوان ويلبس تحتها ثوب من لون اخر[8]

الوصائل: وهي ثياب نجرانية ثم انتشرت في اليمن وهي مخططة بيض وحمر واحدتها وصيلة وهي نوع من الاقمشة الفاخرة [9]

وقد استمرت هذه المنسوجات منذ القرن الخامس الميلادي حتى ظهور الإسلام، وقد اشتهرت بخصائصها المميزة عن سائر المنسوجات في جزيرة العرب واليمن، ولعل أهم ما ميزها هي الخطوط التي تنساب طويلة أو عريضة، لتعطي منظراً جميلاً وألواناً متعددة0

وقد أورد بعض الباحثين المحدثين (كعثمان فاضل عباس؛ صاحب كتاب: "نصارى نجرانية الكوفة، دراسة في أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية والفكرية حتى أواخر القرن الثاني الهجري" الصادر في بغداد عام 2022م) إلى أن نصارى نجران أسهموا بشكل كبير في نقل هذه الصناعات الى الكوفة بعد أن تم إجلاؤهم من نجران[10]

وقد تفنن نصارى نجران بهذه الصناعة ولم تقتصر منسوجاتهم على الصناعات الخاصة باللباس بل تجاوزت إلى صناعات نسيجية أخرى مثل الخيام والفرش والرفرف [11](وهو بساط يفصل بين أجزاء البيت)

بالإضافة إلى النمارق [12] : وهي الوسائد الصغيرة وقد وردت في القرآن الكريم بسورة الغاشية (ونمارق مصفوفة) كما اشتهروا بصناعة الزرابي [13] (وهي من البسط الفاخرة وقد وردت بالقرآن الكريم (وزرابي مبثوثة) والثياب العبقرية:[14] والتي صنعت من الديباج السميك.
ولايخفى على أي باحث دور التجارة الكبيرو كثرة الأسواق التي انتشرت في مناطق متعددة وقد أسهمت هذه التجارة في نقل ابداعات نصارى نجران – الممثلة في الصناعات النسيجية المصبوغة – لتلائم أذواق الناس في مختلف المناطق التي وصلت اليها تجارتهم الواسعة.

الخاتمة:

خَلُصَ البحث إلى أنّ الأصبغة النسيجية كان لها دور كبير في تنميق وتزيين المنسوجات والإسهام في زيادة تسويق منتجاتهم النسيجية وخاصة في مواسم الأسواق والحج، إذ كانت قوافل الجِمال تأتي محملة بأنفس البضائع والحلل والبرود الموشّاة بالذهب والفضة والممزوجة بألوان وأصبغة فريدة فكانت تتلقفها أيدي التجار لتصل إلى أكابر القوم – إذ كان لباس مثل تلك المنسوجات مدعاة للفخر والاعتزاز، وما كان للبرود والحلل النجرانية الذائعة الصيت – تلك الشهرة الكبيرة – إلا لأنها صُبِغَت بألوان ناسبت الذوق العام والخاص.

References:

1. *The Holy Quran*

1 ابن سيدة، المصدر سابق، ج5، ص47؛ الطيالسي، سليمان بن داوود الفارسي البصري، ت204هـ/819م، مسند الطيالسي، دار المعرفة، بيروت، د. ط، د. ت ج1,ص211
2 رينهارت دوزي: المرجع السابق، ص 359-361.
3 الفراهيدي: المصدر السابق، ج1,ص308
4 الفراهيدي: المصدر السابق، ج9,ص273
5 ابن سيده: المصدر السابق، ج1,ص386
6 الفراهيدي: المصدر السابق ج4,ص14.محمد جازم دراسة في تراث المنسوجات والملابس في اليمن، ص119
7 الأزهري، تهذيب اللغة، ج1,ص129
8 ابن منظور، لسان العرب، ج8,ص276
9 ابن سيدة: المخصص، ج4,ص542
10 - محمد حسين الزبيدي، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الأول الهجري، القاهرة، ١٩٧٠، ص ١٩١ - ١٩٥
11 _ جواد علي: المعضل، ج٧، ص ٦١١
12 - القرآن الكريم، الغاشية، الآية ١٦
13 - القرآن الكريم، الغاشية، الآية 15
14 - جواد علي، تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ٦٠٠ - ٦٠٢

2. Abdul-Rahman Al-Ansari: *Qaryat Al-Faw: A Picture of Pre-Islamic Arab Civilization in Saudi Arabia*, University of Riyadh, 1402 AH.
3. Ad-Dinawari, Abu Hanifa Ahmad ibn Dawood, d. 282 AH / 896 CE: *Kitab An-Nabat*, edited by Bernhard Lewin, Steiner-Verlag Wiesbaden, 1974 CE.
4. Al-Azhari, Muhammad ibn Ahmad ibn Al-Azhar, d. 370 AH: *Az-Zahir fi Gharib Alfaz Ash-Shafi'i*, edited by Muhammad Jabr Al-Alfi, Ministry of Endowments and Islamic Affairs, Kuwait, 1st ed., 1399 CE.
5. Al-Bakri, Abdullah ibn Abdulaziz ibn Muhammad, d. 496 AH: *Al-La'ali fi Sharh A'mali Al-Qali*, edited by Abdulaziz Al-Maimani, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, 1st ed., 1997 CE.
6. Al-Bukhari, Abu Abdullah Muhammad ibn Ismail, d. 256 AH / 869 CE: *Sahih Al-Bukhari*, edited by Mustafa Deeb Al-Bagha, Dar Ibn Kathir, Al-Yamamah, Beirut, 2nd ed., 1407 AH / 1987 CE.
7. Al-Farahidi, Khalil ibn Ahmad, d. 185 AH / 801 CE: *Al-Ain*, edited by Mahdi Al-Makhzumi and Ibrahim Al-Samurai, Dar wa Maktabat Al-Hilal, n.d.
8. Al-Harbi, Ibrahim ibn Ishaq, d. 285 AH: *Gharib Al-Hadith*, edited by Suleiman Ibrahim Muhammad Al-Abid, Umm Al-Qura University, Makkah, 1st ed., 1405 AH.
9. Al-Khazin, Ala' Al-Din Ali ibn Muhammad ibn Ibrahim Al-Baghdadi, d. 725 AH / 1325 CE: *Tafsir Al-Khazin*, known as *Lubab Al-Ta'wil fi Ma'ani Al-Tanzil*, Dar Al-Fikr, Beirut, Lebanon, 1st ed., 1399 AH / 1979 CE.
10. Al-Muzaffar, Yusuf ibn Umar ibn Ali ibn Rasul, d. 694 AH: *Al-Mukhtara' fi Funun min As-Sana'*, edited by Muhammad Issa Saleha, Arab Sail Foundation, Beirut, 1st ed., 1989 CE.
11. Al-Waqidi, Abu Abdullah Muhammad ibn Umar ibn Waqid, d. 207 AH: *Al-Maghazi*, edited by Ahmad Atta, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, 1st ed., 2004 CE.
12. Al-Ya'qubi: *Al-Buldan*, annotated by Muhammad Amin Daoudi, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, 1st ed., 1422 AH / 2002 CE.
13. Ash-Shanqiti, Muhammad Al-Amin ibn Al-Mukhtar, d. 1393 AH: *Adhwa' Al-Bayan*, edited by Maktabat Al-Buhuth wal-Dirasat, Dar Al-Fikr, Beirut, 1995 CE.
14. Ash-Shaybani, Muhammad ibn Al-Hasan, d. 198 AH: *As-Siyar Al-Kabir*, edited by Salah Al-Din Al-Munajjid, Institute of Manuscripts, Cairo, n.d.
15. At-Tayalisi, Suleiman ibn Dawood Al-Farsi Al-Basri, d. 204 AH / 819 CE: *Musnad At-Tayalisi*, Dar Al-Ma'arifah, Beirut, n.d.
16. Az-Zamakhshari, Abu Qasim Mahmoud ibn Umar, d. 358 AH: *Al-Kashaf*, Dar Al-Fikr, Beirut, 1979 CE.
17. Ibn Al-Bitar, Diya Al-Din ibn Abdullah, d. 646 AH: *Al-Jami' li Mufradat Al-Adwiyah wa Al-Aghziyah*, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, 2001 CE.
18. Ibn Hajar Al-Asqalani, d. 852 AH: *Ad-Dirayah fi Takhreej Ahadeeth Al-Hidayah*, edited by Abdullah Al-Madani, Dar Al-Ma'arifah, Beirut, 1406 AH.
19. Ibn Majah, Abu Abdullah Al-Qazwini Muhammad ibn Yazid, d. 275 AH / 888 CE: *Sunan Ibn Majah*, edited by Muhammad Fuad Abdul-Baqi, Dar Al-Fikr, Beirut, n.d.
20. Ibn Manzur, Muhammad ibn Mukarram, d. 711 AH: *Lisan Al-Arab*, Dar Sader, Beirut, 1st ed., n.d.
21. Ibn Sa'd, Abu Abdullah Muhammad ibn Sa'd ibn Mani' Al-Basri, d. 230 AH / 845 CE: *At-Tabaqat Al-Kubra*, Dar Sader, Beirut, n.d.
22. Ibn Sida, Abi Al-Hasan Ali ibn Ismail, d. 458 AH: *Al-Mukhasas*, edited by Khalil Ibrahim Jaffal, Dar Ihya' Al-Turath Al-Arabi, Beirut, 1st ed., 1976–1979 CE.
23. Ibrahim ibn Nasser Al-Buraihi: *Al-Hiraf wal-Sina'at fi Dawa' Naqous Al-Musnad Al-Janoubi*, Saudi Antiquities and Museums Agency, 1st ed., 2000 CE.
24. Ibrahim Mustafa et al.: *Al-Mu'jam Al-Wasit*, Dar Al-Da'wah, edited by the Arabic Language Academy, n.d.
25. Muhammad Abdul Rahim Jazam: *Majallat Al-Iklil*, article titled "A Study in the Heritage of Textiles and Garments in Yemen," Issue 1, Aden, 1992 CE.
26. Muhammad Hussein Az-Zubaidi: *Al-Hayat Al-Ijtima'iyya wal-Iqtisadiyya fi Al-Kufa fi Al-Qarn Al-Awwal Al-Hijri*, Cairo, 1970 CE.

27. Noura Abdullah Al-Ali An-Naim: *Al-Wad' Al-Iqtisadi fi Al-Jazirah Al-Arabiyya fi Al-Fatra min Al-Qarn Ath-Thalith Qabla Al-Milad Hatta Al-Qarn Ath-Thalith Al-Miladi*, Dar Ash-Shawaf, Saudi Arabia, 1st ed., 1992 CE.
28. Reinhart Dozy: *Al-Mu'jam Al-Mufassal bi-Asma' Al-Malabis 'ind Al-Arab*, translated by Akram Fadhil, Al-Arab Encyclopedias Publishing House, Beirut, 1st ed., 2012 CE.
29. **Secondary Sources:**